في مكتبة القصة

القصة في الأدب الفارسي

تأليف: د. أمين عبد المجيد بدوي

نقد وتقديم: محمود تيمور

لا ننكر ان اهل الشرق ، على ما بين امم من صلات عزيزة ، واعراق وثيقة ، لا يتبادلون المعرفة الكافية بأنواع الأدب الشرقي . لا من حيث الماضي في عهده البعيد ، ولا من حيث الحاضر في واقعه القريب . فحليق بنا أن نرحب بدراسة ادب الشرق ، على اختلاف مواطنه الدانية والقاصية ، ولا سيما حين يتجرد لهذه الدراسة علماء اكفاء ، أعدوا أنفسهم لها خير اعداد ، فاتقنوا من اللغات الشرقية ما يعينهم على الاطلاع الوافي ، والتقدير الدقيق ، وما يطمئنهم الى انهم يستخلصون نتائج البحث بفضل التعرف والتذوق ، لا من طريق النقل والتعويل على الغير .

ومن أخص ما تجب العناية به من أنواع الأدب الشرقي دراسة القصة ، فان للشرق فيها جهودا مأثورة ، على تعدد ألوانها بين منثور ومنظوم ، وفي عصرنا الحاضر الذي اردحمت فيه الحياة الأدبية بالقصة الغربية الحديثة العهد ، ما احوجنا الى أن نقف على تاريخ القصة الشرقية في العصور الخوالي ، فنقف وقوفنا على تاريخها سبيل الى أن نستبين المصادر والأصول التي لا يسع مفكر ان يجحد اثرها في عقولنا وفي نفوسنا ، ونحن نكتب القصة — من حيث ندري ومن حيث لا ندري .

لا عجب اذن في أن المكتبة العربية حرية ان تحتفي باستقبال تلك الدراسة التي طالعنا بها اليوم الدكتور « أمين عبد المجيد بدوي » ، وجعل موضوعها «القصة في الأدب الفارسي » . وانها لدراسة تضع في الاعتبار الأول كل مقومات البحث العلمي الدءوب غير الملول ، وقلما تتوافر هذه المزية فيما توالينا به المطبعة من كتب تحمل اسم البحث ، وتجحد مظهر الدرس ، وحظها في الحق منهما قليل .

بدأ المؤلف دراسته من حيث بدأ الفرس القدامى يتخذون أدبا ، وعرض لمكان القصة من ذلك الأدب على مراحل العصور ، ثم أخذ يدرس في تؤدة المنح جوهرة في أدب الفرس الاسلامي ، وهي « شاهنامة الفردوسي » ، فقد فسح لها أكثر من مائة

صفحة ، هي ربع الكتاب ، ثم مضى في دراسة الحكاية الفارسية على تنوع اشكالها . وكانت الخاتمة تراجم لأعلام القصص الفارسي .

والمؤلف لا يترك ناحية من نواحي الموضوع ، ولا جزئية من جزئيات البحث ، الا سلط عليها اضواء التحقيق والتمحيص ، ينفي او يثبت ، ويؤكد أو يستريب ، ويأبى ان يسجل شيئا الا وقد اطمأن فيه الى قرار ، غير مقتصر في مصادره على نطاق محدود ، فهو حين يركن الى المصادر الفارسية في لغتها الأصيلة ، متخذا منهـــا اساسه الوطيد ، لا يغفل جهود الباحثين ، شرقيين ومستشرقين ، في شتى لغـــات الشرق والغرب .

ويلخص لنا المؤلف عمله في قوله :

« وقصاراى أن أقول : انى حددت معالم القصة الفارسية في وضوح ، لا يشوبه غموض ، وتحدثت عن ادراتها ما يصرت به من صلات الأحطاء الشائعة والأوهام ، واعدت كتابة تاريخ الملحمة الفارسية رائعة ذروتها هي « شاهنامة الفردوسي » مجردا من التناقض والاضطراب ، فحببت الباحث الضرب في شعاب ومتاهات ، ويسرت له الوقوف منها على معالم بارزة يتخير ايها شاء ... »

واذا كان المؤلف قد صرح بانه أمضى عشر سنين في حبكه لتلك الدراســـة فليس من ريب في أن القارىء المتمعن سيدرك أن ذلك التصريح لم يكن من المـــؤلف مجرد دعوى ، وانه لم يمض هذه السنوات العشر عبثا دون جدوى ، فتلك آثار الكد والجهد واضحة في طريق الدراسة على تعاقب مراحلها من فصل الى فصل ، بل من سطر الى سطر .

وقد نجح المؤلف نجاحا ملحوظا في أنه جعل من العسير على المتعقب أن يتقدمه فيما عمل ، ولكن لعله أتاح له أن يجد السبيل ميسورا الى تقدمه فيما ترك ... فهـو في مقدمته يقول :

« وقصرت بحثي هنا على القصة الفارسية ذات الطابع القومي المميز لهـــا عن سواها ، وضربت صفحا عن التعرض للقصة المعاصرة في الأدب الفارسي ، لأنهـــا بحكم مقوماتها الفنية وأهدافها ـ قصة واقعية ، ذات طابع غربي لا يقوى على احتمال تمويه ، ولا يمكن القول بأنها فارسية لمجرد رسم خطوطها في البيئة الايرانية . الا اذا جاز لنا أن نسمي ابنيتنا وأرياءنا الحديثة وسائر مرافقنا ومقومات حياتنا العصرية التي قبسناها من الغرب مصرية لخلقها بايد مصرية ومن خامات مصرية وفي أرض مصرية ، .

ولو أن الاستاذ المؤلف أطال مقدمته من هذه الفقرة ، لما كان لنا عليه من سبيل، فحسب كتابه ان يؤرخ للقصة الفارسية في عصورها الخوالي ، وله أو لغيره من بعده أن يستأنف الدراسة لقصة الفرس في العصور التوالي ، ولكنه أبى الا أن يرسله رايا حاسما ، وحكما جازما ، وهو أن القصة المعاصرة في الأدب الفـــارسي ليست فارسية ، ومن ثم ضرب عنها صفحا .

ذلك رأي نشكره عليه ، وحكم نراجعه فيه ، لأنه يتصل بقضية جوهرية في معنى الأدب القومي .

أفي الحق أن القصة تفقد قوميتها ، ونسبتها الى وطن كاتبها ، اذا كانت من حيث القالب والمنهج الفني في المعالجة والصياغة ترجع في اصولها الى قومية أجنبية ووطن خارجي ؟ .

وكيف نجرد القصة الفارسية المعاصرة لهذا الحكم ، ونقصر عليها هذا الرأي دون أن نعممه بحيث يشمل القصة الفارسية على مدار العصور منذ نشأة الأدب الفارسي بوجه عام ؟ .

ان البحث في أصول الفن القصصي عمل نقدي تاريخي لم يدرس نشوء الفنون الأدبية ومراحل تطورها وخطوات التجديد فيها ، ومصادر ذلك كله في الشرق أو في الغرب . ولكن القصة تكتسب نسبتها الى قومية كاتبها بغض النظر عن تلك المصادر والأصول ، فالقصة ايطالية أو انجليزية او فرنسية بأن كتابها ، من الطليان او الانجليز او الفرنسيس ، صوروا فيها بيئاتهم وخصائصهم ، أو استمدوا أحداثها من أوطانهم ، او عبروا فيها عن ذات أنفسهم ولون استجاباتهم للحياة من حولهم ، أو قصوا فيها مشاعرهم الانسانية التي تأثرت بما يحيط بهم من أحوال وملابسات وادن فالقصة الفارسية المعاصرة صحيحة النسبة الى القومية الفارسية ، مادام كتابها قد استلهموا موضوعاتها واحداثها وشخصياتها من بيئات فارسية في ارض فارسية ومادامو قد ترجموا فيها عن روح قومية تأصلت بوراثات في مجرى التاريخ الحضاري لتلك الرقعة من الأرض ، وذلك كيفما كان الأمر في منشأ اكتساب أولئك الكتاب للنمط الفني في كتابة القصة من المشرق او من المغرب ، في الماضي أو في الحاضر

ويمكن ان نعرف الأدب القومي بانه الأدب الذي يتناول حياة جماعة انسانية خاصة ، مصورا مشكلاتهم الاجتماعية ، صادقا على وجدانهم ونفسياتهم في اصالة وعمق . وبقدر ما يتناول هذا الأدب موضوعات جوهرية لا سطحية ، ويعالج مشكلات تمس صميم الكيان البشري لا الأحوال العارضة ، يرتفع مستواه الفني ، ويعد من الأدب العالمي الرفيع . وفي ضوء هذا التعريف يقوم ميزان القصة الفارسية المعاصرة ، وان كانت من حيث المنهج قصة وافدة ذات طابع غربي .

لقد عرض لنا المؤلف في كتابه تاريخ القصة في الأدب الفارسي ، باستثناء القصة الفارسية في العصر الحاضر ، وانما عرض ذلك علينا باعتباره أدبا فارسيا قوميا ، على حين أن في انواعه وألوانه ما هو مستمد من أصول أجنبية ، أو مستوحى من مصادر خارجية . وكان موقف هذه الانواع والالوان في الماضي من الآداب العالمية السابقة هو موقف القصة الفارسية المعاصرة من القصة الغربية الحديثة ، الم يعرض علينا المؤلف كتاب « كليه ودمنه » ، وهو في جملته هندي الاصل ، بل هندي النص بل ان نسخته الفارسية لم يعثر عليها ، وما في لغة الفرس الآن منه هو المنقول عن الترجمة العربية ؟ او لم يعرض علينا المؤلف كذلك من الوان القصة الفارسية

« مقامات حميدى » وهى عربية الطراز ، مكانها فى الأدب الفارسى مكان المقليـــد والمحاكاة » .

ولو ساغ لنا أن نسمى القومية عن لون من الأدب ، لتأثره فى مقوماته الصيـــة بنمط خاص ، لما استطعنا أن ننسب أدبا الى قومه ، فمما من لون ادبى الا كانت له مراحل من التأثر والاستمداد ،واطوار التمس فيها أسباب التنمية من هنا وهناك فالقصة العربية نفسها لا تجد بلدا بعينه فى العرب هو وحده دون ســـواه مناط قوميتها ، ولكن الأمم العربية لكل منها اسهام فى صياغة القصة وتطورها على النمط الفنى الحديث ولكل منها قوميتها الخاصة فيما أنتجت من القصص ، متمثلة فيما عبرت به تلك القصص عن روح الأمة وطابعها ونظرتها الى المجتمع والحياة .

فالقصة الفارسية المعاصرة جديرة بالدرس والبحث ، باعتبارها أدبا فارسيا قوميا ، وان كانت باعتبار مقوماتها الفنية المنهجية قصة واحدة ذات طابع عربى .

وان وضعها على بساط الدرس والبحث سيجر الى تعرف ما اســـتمدته من القصص العربية قديما وحديثا ... وما عسى ان يكون فى مضامينها من وراثات ترجع الى أدب الفرس القديم ، شأنها فى ذلك شأن القصة المصرية فى الادب العربى المعاصر فهى فى مظهرها الفنى وفى مقوماتها المنهجية قصة غربية الطـــابع ، ولـــكنها فى موضوعاتها وفى روحها وفى تعبيرها مصرية ، عربية ، شرقية .

وما أظن الأستاذ المؤلف الا مستحدثا لونا جديدا ، يقدم لناقيها القصـــة فى الأدب الفارسى المعاصر ، فى ضوء الأسلوب العلمى المكين الذى أرخ به للقصة فى أدب الفرس القديم .

محمود تيمور